المُعْجَم الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ لألفاظ القرآن الكريم وَرَكَائِزه الْفَنِّيَّةُ

إعداد

د. محمد حسن حسن جبل

أُستاذ أُصُولِ اللغَةِ بجامعةِ الأَزْهَرِ،

أُستاذ مُتفرِّغ بِكُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

العَمِيد الأَسْبَق لِكُلِّيَّةِ اللغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بالمنْصُورَةِ،

الْمُؤْتَمَرُ الْعَالَمِي الثَّانِي لِلْبَاحِثِينَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعُلُومِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ وصلاةُ الله وسلامُهُ عَلَى سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبه وبَعْدُ..

فقد بدأت فكرةُ هذا المعجمِ بدايةً طبيعيةً عندما سجّلْتُ لدرجة الدكتوراه في موضوعِ: «**أُصُولُ مَعَانِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ**». حيثُ كانَ ما في ذهني حِينئذٍ شيئًا من نوع ما اشْتُهِرَ مثل: «أَصْلُ الصَلَاةِ الدُعَاءُ». أي المعنىٰ اللغويّ مقابل المعنىٰ الاصطلاحيّ. فالمعنىٰ اللغويّ للصلاةِ الدعاءُ، والمعنىٰ اللغويّ للحجِّ القصدُ، والمعنىٰ اللغويّ للصومِ الإمساكُ، والمعنىٰ اللغويّ للزكاةِ الطهارةُ. وكان موضوع «دوران المادة على معنىٰ أو معانٍ»، (وهو الصورة التي درسناها في الكلية لما سُمِّيَ في المعجم الاشتقاقيِّ المؤصّل: المعنىٰ المحوريّ) كأنه اجتهاد خاصٌّ ببعض التراكيب اللغوية.

ولما تقدَّمْتُ في دراسة الموضوع وجدتُ أنَّ الأمرَ أوسعُ من ذلك وأعمقُ. فلفظُ «الحجّ» تركيبه الأصلي (حجج)، وفي هذا التركيب كلماتٌ لا تبدو لها علاقة بمعنىٰ القصد، ومنها «حِجَاج العينِ» وهو كَهْفُهَا العظميُّ الذي تستقر فيه جوهرتُها فما علاقة هذا بالقصد؟ وكلمة «صلاة» تركيبها اللغويّ (صلو)، ومنه «صَلَوا الفرس: مُكْتَنِفَا الذنب» ينثني عندهما أصل الرِجل. وفي التركيب أيضا: «صَلّيت العصا إذا أَدَرْتَها علىٰ النار لتقومها». وهكذا. فما علاقة هذه الاستعمالات بالدعاء؟ وهكذا استدرجتني الاستعمالات اللغوية لكل تركيب لأبحث عن مدى علاقة المعنىٰ اللغويّ لمفردة منه بالمعنىٰ اللغويّ العام الجامع لمعاني كلِّ مفرداته. وهو المعنىٰ المحوريّ.

وهنا بدأت مسيرة ما سميته حينذاك المعنىٰ الأصليّ اتساقًا مع موضوع أطروحتي للدكتوراه. وكان المقصود بالمعنىٰ الأصلي هو عين ما سُمِّي في دراستنا في الكلية (دوران المادة)، وما سميته أخيرًا المعنىٰ المحوري اقتباسًا من لقين بارك الله في عمره وعلمه. وقع ذلك الاقتباس في المراجعات المقصود بها إعداد الرسالة للطبع والنشر العام بعنوان: «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم».

صُعُوبَاتٌ:

لقد واجهت صعوبات علمية في سبيل الوصول إلىٰ المعنىٰ الأصليّ، أو المعنىٰ المحوري، لكل تركيب. كان من أهمها علىٰ الإطلاق:

1- إمكان تعدد المعنىٰ الأصليّ، حيث وجدتني مدفوعًا إلى رفض هذا التعدد؛ لأنه بدا لي أن العملَ ـــ حينئذٍ ـــ سيكونُ قليلَ الجدوى، بمعنى أنني قد أُضطر إلى اقتراح معنى أصليّ لكلّ استعمال أو عدد من استعمالات التركيب، فيكون للتركيب الواحد خمسة معانٍ محورية أو أكثر. وهذا يعني بقاء الحاجة إلىٰ بيان العلاقة بين أصول المجموعات. واتفق لي في ذلك الحين أن وُفِّقت في ردِّ كلِّ استعمالات بعض التراكيب إلىٰ معنىٰ أصليٍّ واحدٍ، فحفزني ذلك إلى محاولة شق طريقي في الرسالة كلها علىٰ هذا النمط.

وهنا درست عمل الإمام الجليل أحمد بن فارس في معجمه «مَقَايِيسِ اللُّغَةِ» فوجدت أنني يمكن أن أرد الأصول الكثيرة التي استنبطها لبعض التراكيب إلىٰ أصل واحد. وشجعني ذلك علىٰ المضي قدمًا. ولم تكن كل أبعاد قيمة ذلك ـــ أعني ردَّ كلِّ استعمالات التركيب إلىٰ معنىٰ واحد ـــ واضحة في ذهني تمام الوضوح في ذلك الوقت. كلُّ ما هنالك أني رأيت ذلك النهج أقرب إلىٰ النظرة المستقيمة من تعدد المعاني الأصلية لكلِّ تركيبٍ.

كانت الصعوبة التالية هي استعصاء بعض الاستعمالات علىٰ الانطواء تحت المعنىٰ الأصليّ الذي أَسْتشعرهُ. فمثلًا إذا كان المعنىٰ اللغويّ الأصليّ للحج هو القصد، فما موقع حِجَاج العين مثلًا من ذلك القصد؟

2- هنا برزت إحدىٰ بنيات الطريق التي يمكن أن تَحْرِفَ السالك عن نهجه، وهي ما سمَّيْته بعد ذلك: الخِلابة. أعني ما نسميه في مصر «الفهلوة» أي المهارة الكلامية أو (الإنشائية) التي ليست وراءها حقيقة. وذلك كأن نقول في تركيب

(حجج) إن حِجَاج العين هو الذي يحيط بالعين فيمكنها من (القصد) أي تصويب النظر إلىٰ نقطة معينة. وهكذا.

والذي ردني عن هذا الطريق هو أنه تكشف لي أنني يمكن أن أقول أيضاً إن حِجَاج العين هو الذي يقتصد حركة العين، فلا يمكّنها من النظر إلىٰ غير ما في مواجهتها إلا بالالتفات، مثلا. وهنا أدركت أن هذا السبيل خِلابة وكلام، وليس عِلْمًا ما دام يسمح بتوجيهات متباعدة تبدو كلها سائغة بدلا من توجيه واحد هو الذي يشهد له العِلْمُ أو العقل، فتحولت عن سبيل الخِلَابة هذا. ثم بالمحاولات الكثيرة وبالمعونة من الله تعالىٰ هُدِيتُ إلىٰ إمكان إعادة النظر في معنىٰ (القصد)، هذا، وإلىٰ أن معنىٰ التركيب هو تجوف صلب يحمي ما يدخل فيه. أي أن المعنىٰ المحوري لتركيب (حجج) يحتوي على معاني الصلابة، والكهفية، والدخول في كهف. وذلك كحِجَاج العين، هذا، وتبيَّنْتُ أن المعنىٰ المحوري قليلا ما يعبر عنه بكلمة واحدة، بل غالبا ما يحتاج إلىٰ صياغة مركبة، لتشمل كل معاني استعمالات التركيب الواردة.

أَمْثِلَةٌ:

(1) **(حجج)** إن تركيب (حجج) يحتوي ـــ ضمن استعمالاته علىٰ الاستعمالات الآتية: «الحَجَج ـــ محركة: الوَقْرة في العظم. والحُجُج ـــ بضمَّتين: الطُرُق الـــمُحَفَّرة. وحِجَاج العين ـــ كَكِتَابٍ وسحاب: العظمُ الْـــمُطْبِقُ علىٰ وَقْبتها كنَّتِ الضَبُع أولادَها في حِجَاج عين رجل من العماليق: أي عظم العين المحيط بالحدقة. وجلس كذا وكذا نفرا في حِجَاج عين السمكة التي قذف بها البحر». [انظر لسان العرب]

وعلىٰ ذلك فإن المعنىٰ الجامع (المحوري) لهذا التركيب (حجج) ينبغي أن يشمل المعاني الآتية: التجوف والصلابة المحيطة، والدخول، والحماية. وذلك كحجاج العين فهو كهف عظميّ أي تجوّف مُحاط بصلابة تكون فيه جوهرَة العين، وهو يَحْمِيها لرقتها واحتياجها إلىٰ هذه الحماية. وكذلك «الحَجَج: الوَقْرة في العظم» فهو غئور وانخفاض محدود في جسم عظمي. والغئور تجوف، وهو محاط بعظم أي جسم

صلب. وكونه غئورًا وانخفاضًا يجعله عرضة دائمة لانحدار شيء فيه (أي دخوله فيه)، وكذلك الأمر تماما في «الحُجُج: الطُرُق الْــمُحَفَّرة». فالحفرة فجوة، وكونها في الطريق والطريق صُلْب فهي محاطة بصلابة.

وهنا نحّيت معنىٰ «القصد» عن أن يكون معنىٰ محوريًّا لتركيب (حجج)، وصغت المعنىٰ المحوريّ للتركيب هكذا: تجوف كهفي صُلب يحيط بما في داخله: كحِجَاج العين، والوَقْرة في العظم وحُفَر الطريق. ومنه «رأس أحجّ: صُلب (شديد محكم علىٰ ما فيه. وأعلىٰ الرأس قِحْفٌ صُلْب تحته تجوف كهفي). و«احتجَّ الشيءُ: صَلُبَ (ظاهره). ومنه «حج الجُرْحَ: سَبَره ليعرف غوره». (فهذا دخول لشيءٍ صُلْب ــ وهو المِسبار ــ في تجويف كالكهف فهو من الإصابة. (والعامة عندنا تقول: الشمس حَجّت. أي غَرَبت، أي أنها دخلت في تلك الفجوة التي في نهاية الأفق). ومنه «حج البيت: قصده (زاره) (دخل حوزته وحَرَمه. ولعل الحج في الأصل كان دخول البيت (الكعبة) كما في الآية الآتية. وفي تخصيص الحج بزيارة بيت الله الحرام ــ زاده الله تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابةً وبرًّاــ إشارة إلىٰ أنه كهف ومأمن (صُلْب) لمن دخله قال تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 97] فيترجح لديَّ جدًّا ــ أخذًا من أن المعنىٰ اللغويّ المحرر للحج هو الدخول، ومن هذه الآية أيضًا، أن الحجّ كان يحصل في الزمن الأَوَّل بدخول الحاجِّ البيت (الكعبة نفسها) دخولا حقيقيًّا، ثم طرأ ما جعلهم يقتصرون علىٰ دخول حيزه وحرمه. ويؤيد هذا ما رُوِيَ عن السيدة عائشةَ < أن رسول الله ﷺ تمنّىٰ أن يعيد بناء البيت ليضيف إليه ما تركت قريش منه، وليجعل له بابين يلصقهما بالأرض؛ لأنهم رفعوا بابها «تَعَزُّزًا لئلا يدخلها (أي الكعبة) إلا من أرادوا». [الجامع الكبير للسيوطيّ مخطوط جــ2 /736، و746]. ويؤخذ مما في [الدر المنثور 2/ 270ــ 272] أنه منذ الجاهلية كان من جَرَّ جريرة: قَتَلَ أو سَرَقَ إلخ ثمّ لجَأَ إلىٰ الحرم لم يُهَجْ و لم يُعَاقَبْ حَتَّىٰ يخرج بنَفْسه، فقطعوا السبيل

إلىٰ ذلك برفع باب البيت فلا يُدْخَلُ إلا بسُلّمٍ. وهذا يتطلب إجازة السَدَنة ومن بيده مفتاح الكعبة. ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158].

والذي في القرآن من هذا التركيب هو :

(أ) حج البيت كما في هذه الآية، وكلمة «الحَج»، وما في (آل عمران 97، والتوبة: 19).

(ب) وكلمة (حِجَج) جمع حِجة بمعنىٰ عام ـــ وهي مأخوذة من أن الحج لا يكون إلا مرة كل عام (كما نقول موسم).

(جــ). «الحُجّة ـــ بالضم : البرهان» وهي من المعنىٰ المحوري كأنها ظرف قويٌّ صُلْب للرأي يحفظه أي ينصبه ويدعمه. و«المحاجّة: المجادلة» من هذا، حيث يأتي كل بحجته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: 358].

ومنه كل الفعل (حاج) ومضارعه، و(يتحاجون) وكل كلمة (حُجّة) بالضم.

ومن الأصل «حَجَّ الرجلُ: نَكَصَ» (فهذا تراجع وغئور إلىٰ الخلف أو إلىٰ ما يظنه مأمنًا)- وكذا «حَجْحَجَ»: أراد أن يقول أو يندفع وفق ما في نفسه ثم أمسك (تراجعٌ وارتدادٌ إلىٰ الجوف أي إلىٰ ما يُظَنُّ مأمنا)، «وحَجْحَجَ عن الشيء: كفَّ وتوقف وارتدع. وتَحَجْحَجُوا بالمكان: أقاموا به فلم يبرحوا» (الإقامة بالمكان تتأتىٰ من الدخول فيه).

(هــ) وأما «حج بمعنىٰ قصد، وزار» فمن الغئور في جرم متجمع أي الاتجاه إلىٰ وَسَطه وهي في هذا قريبة من (عمد) (انظر التركيب) إلّا أن (عمد) نص في عقد النية بالقلب علىٰ شيء وأقوىٰ في ذلك.

(2) (**صوم**) ولفظ «الصوم» من تركيب (صوم). وفيه من الاستعمالات «الصَوْمُ»: شَجَرٌ علىٰ شكل شخص الإنسان... له هَدَب كالأَثْلِ ولا تنتشر أفنانه. وبَكَرة صائمة: إذا قامت فلم تَدُر (تصمغت في مِحْورها). صام الفرسُ فهو صائم أي قائم علىٰ قوائمه الأربع بلا حَفًىٰ (أي هو قائم كذلك دون ضُرٍّ في حوافره يضطره إلىٰ ذلك). ومَصَامُ الفرس ومَصَامَتُه: مَقامه ومَوْقفه. والصَوْمُ: قيامٌ بلا عمل (هذا يفسره ما قبله). واستصام: قام:».

فالمعنىٰ المحوري للتركيب يجب أن يشتمل علىٰ: (أ) معنىٰ الوقوف، (ب) والتوقف عن الحركة، (جـ) والتوقف عن العمل، (د) وعلىٰ معنىٰ عدم التفرع أو نحوه مثل شجر الصوم. وبالتدبر يمكن اعتداد عدم تفرُّع شَجَر الصوم وكونه لا ورق له، وإنما هَدَب ـ يمكن اعتداد ذلك تَجَرُّدًا، أو التئامًا منه علىٰ نفسه فيقترب من معنى التوقف؛ لأن عدم التفرع هو من باب عدم الحركة. وهنا يمكن صوغ المعنىٰ المحوري هكذا:

المعنىٰ المحوري لتركيب (صوم): توقف أو وقوف وقيام عن الحركة والامتداد المعتاد ـ كجِرْم شَجَر الصوم، فهو ملتئم لا يتفرع وكأنه قائم أجرد، وكالبَكَرة المذكورة لا يَدور فيها محورها، وكالفَرَس لا ينتقل من مكانه. والشأن في الجميع خلاف ذلك. ومنه «صَامَت الريحُ: ركدت، والشمس: قامت عند منتصف الظهيرة ولم تَبْرَح مكانها (أي في كبد السماء في ظاهر الأمر لهم). والصوم: عُرَّةُ النعام» (كتلة واحدة ليس كبعر الإبل والغنم) ومنه «الصوم: البِيعة» (للسكون والركود فيها).

ومنه «الصوم»: الإمساك (أي التوقف) عن الأكل والشرب (وأضاف الشرع الإمساك عن الجماع)، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: 185]، ومنه الصوم عن الكلام. ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: 26].

3 - ولفظ (**الصلاة**) من تركيب (صلو/ صلى) وفيه «صلّىٰ عصاه علىٰ النار ليّنَها وقوّمَها. أَصْلَتْ الفَرَسُ إذا استرخىٰ صَلَوَاها، وذلك إذا قَرُبَ نَتَاجُها. والصَلَوان من الإنسان أولُ موصل الفخذين فهما مكتنفا العُصْعُص. والصَلَا: العجيزة كما في اللسان والتاج (حبب). والصلاية: كلُّ حجر عريض: مُدُقّ الطيب».

فالمعنىٰ المحوري لهذا التركيب ينبغي أن يعبر عن: (أ) لين أثناء الشيء أو رخاوتها من الداخل وتيوح الانثناء، (ب) وتماسك الأثناء علىٰ الرغم من ذلك، فصغته هكذا: «لين أثناء الشيء أو رخاوتها من الداخل ــ مع تماسكٍ ما، فيمكن التصرف فيه » وذلك كتليين العصا لإقامتها إذا كانت مُعْوَجّةً وذلك بتعريضها للنار، ويمكن أيضًا بذلك التليين ثَنْي طرفها ليكون مَقْبضًا لها، وهكذا. وكرخاوة الصَلَوين فيتيحان يُسْرَ تحريك الناقة ونحوها فخذيها ورجليها في السير وتحريك ذنبها إلىٰ الجانبين، (وأرىٰ أن دقة تفسير «أَصْلَتْ الفرس» هو: صار لها صلا أي تجمع رخو ذو تماسك ما حول حيائها)، وكالعجيزة التي تشبه حَدَبَة الموجة بانتبارها مع رخاوتها. والصَلاية: الحجر العريض (الأملس) وسيلةٌ لدق الطيب علىٰ الحجر العريض، فيلين أي يَنْعُم ويمكن التطيب به. وقد جاء أن من معاني الصَلاية: الجبهة. وجاء في (تاج) أن ذلك تشبيه ــ أي بالحجر العريض (الأملس). كما جاء أن من معاني الصَلاية «شريحة خشنة غليظة من القُفِّ». وأقول إن هذا من التشبيه بالحجر العريض أيضا، فإن

الشريحة (بين ما حولها) تشبه الحجر العريض في الصلابة والغلظ مع العِرَض في كلٍّ. والملاسة نسبية تتحقق بالخلو من كتل الحجارة ونحوها.

ومن رخاوة الأثناء: «الْــمِصْلاة ــ بالكسرــ : شَرَكٌ يُنْصَبُ لصيد الطير وغيرها» وذلك بأن يوضع داخل الشرك حَبٌّ أو لحم إلخ مما يحبه الصيد (وهذه هي الرخاوة في الأثناء) فيدخل الشركَ فيصاد. ومن هذا استُعْمِلَ في إيقاع الشخص في هَلَكة بحيلة. وعبارة الأزهري «صَلَيْتُ فلانًا: إذا عملت له في أمر تريد أن تَمْحَلَ به وتوقعه في هَلَكَة» وعبارة الزمخشري «صَلَيْت بفلان: إذا سَوَّيْتَ عليه منصوبة لتوقعه» وعبارة (تاج مع ق) «ومن المجاز صَلَىٰ فلانًا صَلْيًا: داراه أو خاتله، وقيل: خدعه» اهــ.

وبالعود إلىٰ التليين بالنار نجدهم قالوا :«صَلَىٰ اللحْمَ بالنار (رمىٰ): شواه» واللين هنا متمثل في طيب اللحم بالشي وذهاب فجاجته التي تمنع أكله نِيئًا. وكذا قالوا: «صَلَىٰ ظهره بالنار (رمىٰ): أدفأه» فهذا مجرد تقريب الظهر من النار ليدفأ وتلين حركته بلا ألم. والاصطلاء الاستدفاء ﴿لَّعَلَّكُم تَصۡطَلُونَ﴾ [النمل: 7]. وكل ذلك طِيبُ أثناء، أي من الرخاوة في المعنىٰ الأصلي.

وتخلصوا من قيد التطييب في تسليط النار علىٰ ظاهر الشيء إنضاجًا أو تليينًا فقالوا: «صَلَىٰ اللحمَ في النار (رمىٰ) وأصلاه وصلَّاه- ض: ألقاه للإحراق، وصَلِيَ بالنار وصَلِيَها (تعب) صَلْيًا – بالفتح وصُلِيًّا ــ فُعول، واصطلىٰ بها وتصلاها: احترق بها/ قاسَىٰ حرَّها» أو لعلهم نظروا إلىٰ إحراق الشيء علىٰ أنه مبالغة في التليين إلىٰ درجة السحق إحراقا. ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا﴾ [النساء: 56]، ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا

حَامِيَةً﴾ [الغاشية: 4]، ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: 31]، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: 94]. واحتمال التطبيب بالإحراق يعلمه الله تعالى.

ومن لين الأثناء والرخاوة مجازا بمعنىٰ خشوع الباطن واستشعار الضعف البالغ استُعْمِلَتْ في الدعاء الذي هو تضرع لاستنزال الرضا أو الفضل، وهذا هو الذي جعلوه الأصل في تسمية الصلاة ذات الركوع أعني: الدعاء. قال (الطبري 1/ 243): «إن المصلِّي متعرض تعرض الداعي. وقد استُعْمِل اللفظ بمعنىٰ الدعاء وحده كثيرا، ومنه الحديث. «.... وإن كان صائمًا فليصل» أي فليدع أي لأرباب الطعام. وبمعنىٰ الدعاء استعملها الأعشىٰ في صلاة الخمار علىٰ دن الخمر.

«وَصَلّىٰ عَلَىٰ دَنِّهَا وَارْتسم»

وكذا هي في قوله:

«عَليكِ مثلُ الذِي صَلّيْتِ»

أي دعوتِ «ولا يتأتىٰ أن يقصد الأعشىٰ بالصلاة الركوع ونحوه، لأنه لم يُسلم»، وبهذا يُفْهَم أن الصلاة من الله ﷻ علىٰ عباده هي إنزال الرحمة والبركات ــ كما يقصد بالدعاء

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾». في (القرطبي 14/ 198) فصلاة الله علىٰ العبد هي رحمته له وبركته عليه.. وصلاة الملائكة دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: 7]

وأقول إن هذه الآية تعبر عن فضل ورعاية من الله ــ عز وجل ــ لهذه الأمة لا يحاط به. وهو يفسر كيف بَقِيَ الإسلام إلىٰ الآن وإلىٰ يوم القيامة إن شاء الله برغم عداء الغرب ومحاربة كل حكومات العالم للإسلام. هذا مع عظيم شُيوع حفظ القرآن وازدهار الجانب الروحي بالعلماء والأولياء، وانتشار الإسلام في شعوبٍ تحاربه، وغير هذا مما لا يُفَصَّلُ إلا في كتبٍ. وكل هذا بفضل صلاة الله وملائكته علىٰ هذه الأمة وعلىٰ نبي هذه الأمة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56] صلى الله عليه وسلم. وفي (تاج) فائدة نفيسة منها أن معنىٰ صلاتنا علىٰ النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته».

فلمعنىٰ الدعاء والضراعة استُعْمِلَتْ في أهم صور التضرع والإخبات لله ﷻ وهي الصلاة ذات الركوع والسجود ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: 103] وقد سبق الإمامُ ابنُ فارس بالقول باشتقاق الصلاة من صَلَّيْتُ العود: لينته؛ لأن المصلى يلين بالخشوع. ولكن لكثرة الاجتهادات في المأخذ الاشتقاقي للصلاة (نحو سبعة أو أكثر في «تاج» وحده) وأن أكثرها فيه تكلف، ولإجْمال كلام ابن فارس وانغماره، وأنه في كتابه (المجمل) لا (المقاييس) = غاب وجُهِلَ، وقد هُدِيت له بشواهدَ أصَّلَتْهُ دون تكلف. فهو الصحيح والحمد لله.

ومن الأصل «الصلاة: الْــمَعْبَدُ» (سمِّي المكان باسم ما يقع فيه) كما قالوا سميت مِنًىٰ لما يُمْنَىٰ فيه من الدماء أي يراق. فالكلمة عربية أصلا وصيغة ولا معنىٰ

لزعم تعريبها الذي ورد في ل والمتوكلى/ وتوقف إزاءه الخولى ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ﴾ [الحج: 40].

والذي جاء في القرآن من التركيب معنيان :الصلاة الدعاء والعبادة المعروفة، وصَلْي النار وتصليتها والعياذ بالله. وسياق كل منها متميز.

أما «المصلِّي من الخيل: الذي يجيءُ بعد السابق» فأرىٰ أنه من الرخاوة التي هي درجة من الضعف. فالسابق الصُلْب هو الْـمُجَلِّي، وهذا المتراخي عنه هو المصلى. وقد قالوا إنه وُصِفَ بذلك؛ «لأن رأسه يكون عند صَلْوَىٰ الْـمُجَلِّي».

(4) (**زكو**) والزكاة من تركيب (زكو) وفيه من الاستعمالات «الزكا: الشفع من العدد ضدُّ الخَسا/ الزوجان ضدُّ الفرد. زكا الزرع يزكو زكاء: نما. الزكاء النماء والرَّيْع. أرض زكية: طيبة سمينة».

هنا نجد أنه ينبغي أن يعبر المعنىٰ المحوري عن المعاني الجزئية الآتية: (أ) الزيادة أو الكثرة ضد القلة أو النقص. (ب) الطيب أي كون الشيء طيبًا أي جيدًا مفضلًا في نوعه. (جـ) النمو والتزايد. وعلىٰ ذلك صُغْتُ المعنىٰ المحوري علىٰ النحو التالي.

المعنى المحوريُّ: زيادة الشيء في ذاته مع جودة نوعه. كالزكا فهو أزيد من الخسا في أدنىٰ ما يطلقان عليه. وكالأرض الزكية تُنَمِّي الزرع مع كونه جيدًا بين جنسه. وكذلك زكاءُ الزرع نموه مع رَيْعه، فرَيْعُه أن يفوق أصله أو يكون علىٰ خير حال مثله. ومنه استعمال التركيب في الطهارة المادية كقول الإمام محمد (الباقر) بن علي بن الحسين «زكاة الأرض يُبْسها» يريد أن طهارتها من النجاسة كالبول وأشباهه أن يجف ويذهب أثره. ومن القريب لذلك قولهم «زكّىٰ الشيءَ – ض: أصلحه».

فمن ذلك الأصل «الزكاة: ما أخرجته من مالك (أي تبرعًا في المصارف الشرعية) لتطهره به» فمعناه يجمع الزيادة (القدر الذي يخرج، والأصل فيه أن يكون

فضلا أي زائدًا عن الحاجة، وأيضًا فإن المال الأصلي يُبَارَكُ ــ أي ينمو ويطول نفعه ــ بإخراج زكاته)، كما يجمع الْــجَوْدة، وهي أنها تُطَهِّرُ المالَ وصاحبه من التبعة الدينية فيه. وكل كلمة (الزكاة) في القرآن هي بمعنىٰ زكاة المال هذه، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 43] وسائر ما في القرآن من مفردات التركيب هو بمعنىٰ طهارة النفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9]، زكّىٰ الله نفسه بالطاعة/ زَكّىٰ (هو) نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال (قر 20/ 77)، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32]. (لا تنسبوها إلىٰ الزكاء: الصلاح وزيادة الإيمان تمدحًا) ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: 32] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13] الزكاة: التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر. أي جعلناه مباركا للناس يَهْديهم. وقيل المعنىٰ زَكّيْنَاهُ يحسن الثناء عليه كما تزكِّي الشهود إنسانًا. وقيل «زكاة» صدقة به علىٰ أبويه. (قر 11/88). والأول أولاهن.

(5) (**أبل**) ولنأخذ الآن أمثلة من التراكيب التي لم تشتهر منها مصطلحات شرعية.

تركيب (أبل) فيه: «الإبل: جنس الجِمال، والسحاب الذي يحمل الماء. أبلت الإبل: (قعد وكسمع وضرب): جزَأت بالرُطْب عن الماء. بعير أَبِلٌ: لحيم. تأبيل الإبل. تَسْمِينها».

هنا من المعاني التي استُعمل فيها التركيب وينبغي أن يتضمنها المعنىٰ المحوري (أ) الإبل: الجمال. (ب) السحاب الذي يحمل الماء. (جـ) احتزاء الإبل بالرُطْب عن الماء (د) كون الإبل لحيمة سمينة.

ومن هنا كانت صياغة المعنىٰ المحوري لهذا التركيب.

المعنى المحوري هو: احتواء باطن الشيء علىٰ غض أو لطيف كثير: كالماء في جوف إبل السحاب والجمال، إذ الجمال أطول الأنعام والدواب رِيًّا؛ لأنها تصبر عن الماء ثمانية عشر يومًا [1]، كما هو معروف، لذا فُضِّلَتْ في التنقل في الصحراء. وكانوا إذا أعوزهم الماء في السفر يقرون بطونها ليأخذوا الماء من أجوافها. فإذا توقعوا ذلك قبل السفر سَقَوْهَا ماء كثيرًا علىٰ سبيل الاختزان (ينظر تاريخ الطبري 3/409 و415—416): ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام: 144]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية: 17].

ومنه «أَبَلَ العُشْبُ أُبولًا: طال فاستمكنت منه الإبل» (كذا والمقصود طال بقاؤه بالأرض مع رِيِّهِ وما تغذوه به الأرض فَكَبِرَ وطال جرْمه. و«أَبَلَتْ الإبل أبولًا: أقامت بالمكان» (لزمت حوزته فسمنت وكثرت).

ومن الكثرة المحتواة في حوزة: «الإبالة ـــ كرسالة: الْـحُزْمَة الكبيرة من الحطب» (تجمع وتماسك)، (وكإِجّانة ويخفف وسِكِّيت وعِجَّوْل ودينار): «القطعة من الطير والخيل والإبل» (كثرة وتلازم)، والأبابيل جمعها: ﴿عَلَيۡهِمۡ وَأَرۡسَلَ طَيۡرًا

(1) كأن هذا عام أي ممكن في الإبل كلها. أما الإبل التي تصبر عن الماء أكثر من ذلك فتسمى جوازئ أي تجزأ عن الماء بما في المرعىٰ الذي تأكله من ندىٰ ورطوبة. ينظر: (ل تاج عشر).

أَبَابِيلَ﴾ [الفيل:3]، والحُزْمة من الحشيش كالأَبيلة. «ناقة أَبِلَة: مباركة في الولد» (في بطنها كثير). و«الأبلة ــ كفرحة: الطَّلِبَةُ» والحاجة (يراد ضمها واحتواؤها).

ومثل أُبول الإبل أي اجتزائها بالرُطْب عن الماء: «أبل الرجل عن امرأته: امتنع عن غشيانها، كتأبل» (اختزن أو أمسك ماءه). ومن هذا: «الأبيل: الراهب». (لا يتزوج).

أما «الأَبلةُ ــ بالتحريك أو الفتح: الثِقَلُ وَالوَخَامَةُ، كالأبل» ــ محركة ــ (فكأنما من رخاوة في الجوف تسبب الفتور)، والإثم (وهو ثقل كالوِزْرِ). والإِبلة ــ بالكسر ــ العداوة» (كالحقد في القلب)، فمع أن الثقل لازم «للكثرة المحتواة» التي جاءت في المعنىٰ المحوري، فإن الأشبه أنها من (وبل)، بإبدال الواو همزة.

وَقَفَاتٌ مَع الركَائِزِ الْفَنِّيَّةِ

1- الخبرةُ أو المعلوماتُ.

هذه ركيزة مهمة جدًّا، والمقصود الخبرة بحياة العرب والمعلومات عنها. ذلك أن تلك الخبرة هي أداة اللغويّ للوصول إلىٰ تكييف استعمالات العرب لمفردات لغتهم وتبيُّنِ وجهة نظر العربيّ إلىٰ الأشياء وإلىٰ الحياة عامة؛ لأنه يعبِّرُ بالكلمات والعبارات التي ينشئها عن وجهة نظره تلك، ووجهة نظره هي التي تجعله يجمع في التعبير بين الكلمات التي تقارب عنده ما يعبر عنه بها. ثم عنه نأخذ هذا التقارب، ونربط بين ما قد يكون دون تبني وجهة نظره متباعدًا، ومن ثَمّ نلمح المعنىٰ المحوريّ ثمّ نصوغه ونطبق.

وقد قلت إن المقصود بالخبرة والمعلومات هنا هو حياة العرب في البادية. وبالنسبة لي فقد أخذت قسطًا كبيرًا من الخبرة والمعلومات عن حياة البدويّ في البادية أخذتها من معايشة الفلاحين في الريف حيث نشأت وبقيت في العطلات إلىٰ أن

تخرجت في كلية اللغة العربية في سن السادسة والعشرين حيث صرت مدرسًا للغة العربية أتنقل بين المدن المختلفة. كان ذلك هو الرافد الأول للخبرة والمعلومات.

الرافد الآخر كان هو معايشة العرب أيضًا لكن في المعاجم: لسان العرب وتاج العروس خاصة، حيث كانت طبيعة دراسة موضوع الدكتوراه تتطلب العكوف علىٰ لسان العرب وتاج العروس في التركيب الواحد أيامًا كاملة لأفكر في الروابط التي جمعت بين استعمالات ذلك التركيب. والمعجمان كنزان للمعلومات عن حياة العرب من خلال لغة العرب.

قد يُعَدُّ ضرب الأمثلة للخبرة والمعلومات تزيدًا أو عبثًا، ولكن حق البحث وقارئيه يقدِّم. وسأقتصر علىٰ بعض الأمثلة الغريبة.

فقد رأيت التبر، وكيف يظهر ببريقه متناثرًا في أعلىٰ المسطحات الرملية عقب المطر. رأيت ذلك في سيراليون.

ورأيت كيف كانت بعض المنتجات الزجاجية تصنع قديمًا استمدادًا من صهارة الرمل. رأيت ذلك بلا ترتيب في موقف اتفاقيٍّ عجيب.

وعرفت كيفية «اقتداح النار من الزند والزندة» من صورة في كتاب مدرسيٍّ بسيراليون، وبعدها رأيت وصف ذلك في معجم لسان العرب.

رأيت نباتا يسمَّىٰ عنب الثعلب وهو عند العرب «الثَلِثَان»، رأيت ذلك في مصر، وهو الذي رجحت أن دلالة لفظ «ثلاثة» علىٰ العدد المعروف يمكن أن تؤخذ منه.

ورأيت «الثمام» الذي تسقف به المنازل في تجمع مسنم في نيجيريا.

عرفت معنىٰ «أَبَّ يده إلىٰ السيف» من صور الخديوي الذي كان يعلق سيفًا في وسطه، ومقبض السيف قريب من يده.

ورأيت كيف كان النسج البدائي يتمُّ، وأدوات ذلك وأسماءها.

ورأيت الثياب التي تسمَّىٰ عندنا «القطيفة» كيف تصنع فتكون لها تلك الطبقة الوثيرة علىٰ وجهها.

ورأيت وعرفت كيف يُحْصَلُ من اللبن علىٰ ما يسمَّىٰ «قشدة اللبن»، وعلىٰ الزُبْد، وعلىٰ السمن.

ورأيت وعرفت كيف يصنع الحداد المنجل والسكين والمقص وما إلىٰ ذلك.

ورأيت كيف كان الْـمُلَحِّمُ يَلْأَمُ زجاجة المصباح البدائي والأشياء الزجاجية إذا انْصَدَعت، وذلك بالقصدير.

وأدركت أيام كنا نكتب بالأقلام القصبية (اليراع) واستعملتها في الكتابة كثيرًا.

ورأيت كيف تصنع الحجارة المنتظمة الأبعاد حَرْقًا، وهي الحجارة التي يبنىٰ بها.

ورأيت كيف كان يقشر الأرز (ذاك الذي يؤكل) بالدقّ.

ورأيت وعرفت كيف يكون البناء متداخلا، وكيف تبنىٰ العقود (arch).

ورأيت الجير كيف يطفأ. ومنه فهمت (لما قرأت) كيف يُسْتَخْرَجُ من الحجارة البيضاء.

ورأيت طوامير الورق التي كانت تحفظ الوثائق المهمة قديمًا واستعملتها.

ورأيت الْـمِزْولة الشمسية وعرفت كيف يحدد الوقت بها.

إلىٰ كثير جدًّا غير هذا.

وقد ساعدت هذه الخبرة والمعلومات في فهم التسميات ولمح ملاحظ التسمية في المسميات. وأدىٰ هذا إلىٰ أن تيسر ربط استعمالات التركيب، وأن تكون الروابط واقعية حقيقية.

لا أدعي الانفراد بالخبرة أو المعلومات، فكل دارس عنده خبرات، قد تكون أكثر مما عندي بكثير، وإنما أردت ضرب الأمثلة للدارسين؛ ليحرصوا علىٰ تأمل ما

يصادفهم من خبرات ومعلومات، وليربطوا بين معاني الأسماء والملاحظ في مسمياتها، فذلك باب عظيم إلىٰ فقه اللغة العربية.

2- التكييف، والتأويل :

المقصود بالتكييف هنا هو بيان كيفية نظر العرب (أي المعاني التي اعتبروها وكانت في أذهانهم) حين عَبَّروا عن الأشياء والأحداث بالألفاظ التي وضعوها لها. وباختصار هو بيان علة التسمية وما يدعمُ ذلك. والتأويل جُهْد إيضاحيٌّ لإبراز تواؤم معنىٰ استعمال لفظي عربي من تركيبٍ ما مع المعنىٰ المحوري الذي تشير إليه الاستعمالات الأخرىٰ لذلك التركيب. فالتكييف جهد اللغوي لكشف وجهة نظر العرب، والتأويل جهد اللغوي للشرح عند الغموض.

فمثلاً تركيب (أبل) فيه الإبل. وعرفنا من المعجم[1] أنها تصبر علىٰ العطش مدة تصل إلىٰ ثمانية عشر يومًا أو تزيد. فهل كيَّف العرب ذلك بأنها لا تحتاج الماء؟ أي مستغنية عنه؟ هذا يصادم قانون الحياة. هل نظروا إليها علىٰ أنها تستغني بالمرعىٰ عن الماء؟ هذا ليس مطردًا في الإبل كلها. كان الأقرب أن نفترض أنهم اعتقدوا أنها تختزن في أبدانها حاجتها من الماء. أي أن خلايا بدنها تتشبع بالماء حين تشرب ثم تُقَتِّر في الإنفاق منه. وساعد في توجيهي إلىٰ ذلك (أ) معلومة سمعتها من الفلاحين أن الجمال لا تعرق، وأن الجمل إذا عرق كان ذلك علامة علىٰ أنه مريض مرضًا قد يودي بحياته. (ب) استعمالات في التركيب منها: «تأبل الرجل: امتنع عن غشيان زوجته، فهذا يفهم منه أنه يحتفظ بمائه. والأبيل: الراهب. (وهو لا يتزوج). والإبل: السحب الملأىٰ بالماء».

ومن هنا بينت أن علة تسمية العرب الجمال إبلا هي أنها تختزن في بدنها حاجتها من الماء أي هذه وجهة نظر العرب التي جعلتهم يسمون الجمال بلفظ (إبل).

(1) ينظر لسان العرب (عشر).

ولم يكن في ذهني حينئذٍ ما جاء في تاريخ الطبري (3/ 409، 415– 416) من اختزان الماء في بطون الإبل للسفر، وحتىٰ لو كان فهو وحده لا يصلح علة للتسمية؛ لأنه أمر عارض لظرف خاص، ووقع بعد التسمية.

وفي مثل آخر. (الجُبْن) الذي يؤكل. كان العرب يأكلون الجبن. وتركيب (جبن) فيه معنىٰ خلو الجوف أو الأثناء. وقد قال الله تعالىٰ في وصف قوم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم 43]، فُسِّر بالخوف، وقال حسان واصفا بالجبن:

«فأنت مجوف نخب هواء»

ونحن نعرف في حياتنا من الجبن الذي يصنع ويؤكل الآن جبنًا ذا دسم، وجبنًا تسميه العامة عندنا (قريشا) وهو خال من الدسم. وهذا النوع يشيع عند الفلاحين الآن. وعرفت من المعاجم أن العرب كانوا يحرصون علىٰ نزع الزبد من اللبن لتحويله سمنًا تُدَّخَر لحين الحاجة، وأن عندهم بعض المنتجات اللبنية المتروعة الزُبْد (: الأقط). ومن هنا اطمأننت إلىٰ أن الجبن سُمِّيَ جبنًا لخلوه من الدسم.

و«حب الذرة» سُمِّيَ كذلك؛ لأن نباته أعلىٰ نباتات الحبوب ارتفاعًا، ويكون (الكوز) الذي تتجمع حبوبه فيه في أعلاه. فسُمِّيَ «ذرة»؛لأنه يُذْرِي حبوبه إلىٰ أعلىٰ (وحذفت الواو كما حذفت في عِزَة)، أو لأنَّ حبوبه مُذْراة إلىٰ أعلىٰ، أو (ذارية) إلىٰ أعلىٰ.

و«الكتابة بالقلم» سميت كذلك؛ لا لأنها كلمات أو حروف مجموعة أي من الكَتْبِ: الجمع، كالكتيبة، ولا لجمع الأصابع حول القلم حين الكتابة، كما قال بعضهم. ولكن الصواب أن الكتابة سُمِّيت كذلك؛ لأنها تُلْصِقُ (رموز) الكلام بالقلم علىٰ الصفحات. من قولهم كَتَبَ القربة: خاطها بخيطين.

و«القراءة» سميت كذلك؛ لأنها إخراج ما (قُرِئَ) في الجوف أي اخْتُزِنَ أو حُضِّرَ من المعاني (إخراجه) بالتعبير الصوتي.

و«الحرُّ» سُمِّيَ حرًّا؛ لأنه (يكاد) يسلخ الجلد من «حَرِّ الأرضَ: كسح التراب المتجمع من الجانب المرتفع من الأرض إلىٰ المنخفض منها.

و«البَرْد» سمِّي بردًا؛لأنه يقلص أحجام الأشياء ويكاد يجمدها كأنه من البرد حبّ الغمام، أو من البُردة، وهي صغيرة المساحة قصيرة.

و«الحَجَر» سمِّي حجرا؛ لأنه يَحْجُرُ، أي يمنع ويصدّ الاختراق.

و«السلام» يُسمَّىٰ سلامًا من سلامة الشيء، أي اتصاله عريضًا بلا تشقق ولا انكسار، من السَلِمَة: الحجر العريض (بلا تصدع).

و«الجراد» سُمِّي جرادًا؛ لأنه يجرد الأرض، يأكل نباتها.

و«الثوب» سُمِّيَ ثوبًا؛ لأنه تجمع خيوط نُسِجَتْ معًا؛ فصارت ثوبًا عريضًا ممتدًا.

و«القدم» سمِّي قدمًا؛ لأنه يتقدم الرجل فيقتطع جزءًا من المسافة التي أمامه، والقدوم يقطع متقدمًا في أثناء الشيء.

و«الرجُل» سمِّي رجلًا؛ لأنه يسعىٰ (يمشي هنا وهناك) لكسب رزقه، ورزق أولاده. والتركيب يعبر عن الاضطراب، أي الحركة سعيًا.

و«المرء» سُمِّيَ مرءًا؛ لأنه يَنْفُذُ ويسعىٰ في الأشياء الطيبة. وأقرب ما يشاركه هو المرىء اسمًا وصفة.

و«الفرس» سمِّي فرسًا؛ لأنه يَفرِسُ المسافات أي يقطعها، من فَرْس الوحوش فرائسها.

و«الذراع» سمِّي ذراعًا؛ لأنه يمتد طويلًا، ومنه أخذ الذَرْع قَيْس الأطوال.

و«القِصَر» انضغاط واندكاك، كما قالوا: مُتَكَأْكِئ.

وسميت «البَكَرة» التي يستخرج بها الماء من البئر بذلك؛ لأنها تخرج الماء من عمق بعيد بعدما كان ممتنعًا، فكأنها تخرجه لأول مرة، أي من التبكير والبكارة.

و«جبر» الكسر عبر به عن معناه، أخذًا من الجبّار من النخل، وهو ما فات اليد. فعددنا المعنىٰ المحوري نموًّا ذاتيًّا يتجاوز ما قد يقع؛ لأن جبر الكسر يتم بالنمو الذاتي.

و«السمك» سُمِّي سمكًا؛ لأنه يعوم في الماء ولا يرسب إلىٰ أسفله كرهًا كالحجر مثلا، وعومه في الماء ارتفاع، وتركيب (سمك) يعبر عن الارتفاع.

وجعلوا معنىٰ التكافؤ من الاستواء المادي (بوأ)، لأن التكافؤ تساوٍ.

ويؤخذ معنىٰ (أبدا) من أبود البهيمة أي توحشها وعيشها في البيداء التي لا حدود لها.

و«الباحر»: الأحمق الكذاب. وتركيب (بحر) يعبر عن شق عظيم تشغله مادة مائعة كالماء فكأنه فارغ. والكذب كلام فارغ.

«بَرّت سلعته» : نفقت. ونَفاق السلعة ذهاب كثافتها وتراكمها بيعًا فيخلو مكانها. وتركيب (برر) يعبر عن التجرد، وهو من باب الخلو والإخلاء.

وَسَط الجمل والحصان يسمىٰ «جوزًا»؛ لأن الوسط ممتد بين الأرجل الأمامية والخلفية فكأنه جائز من هذه لتلك.

«الشاة الأَجَمُّ» الذي لا قرن له؛ لأن رأسه لم تشعبه قرون؛ فظل مجتمعًا جامًّا.

«الحُب» تجمع وتلازم؛ أخذا من تجمع الدقيق في الحَبّ.

«الجَمال» من السِمَن والاكتساء بالشحم مع التناسب وذلك أخذًا من الجَمْل الجمع، والجميل الشحم الذي يذاب فيُجْمَل.

«العدل» من توازن الأعدال علىٰ الجمل وغيره.

«المروءة» من المرور السلس للشيء المستحب مع نفع كالطعام.

«الحق» من تمكّن الشيء في حَيِّزه الخاص به كما يوضع الشيء في الحُقّ.

«السعادة» من الامتلاء بالرِيّ والندىٰ.

«البؤس» من الجفاف والشظف حقيقة أو شعورًا.

«الثوب» من جمع الخيوط بنسجها. والثواب من الجمع أيضًا، لكن يتمثل الجمع في عودة ثمرة من الشيء إلىٰ صاحبه كما يسمىٰ الربح عائدًا.

«البَرْدُ» تقلص. والبَرْد بالمبرد تقليص حجم.

«القَلْي» تجفيف والقِلَىٰ جفاء أي جفاف.

«الرِشْوة» من الرِشَاء الذي يوصل به الدلو إلىٰ الماء.

«الرضا» من رخاوة النفس، كما أن عدم الرضا توتر.

«الطريق» من طَرْق الإقدام، أي ضغطها علىٰ الرمل في الصحراء، وبتوالي ذلك وكثرته علىٰ نفس المسار يصبح طريقًا.

«الإثمد» يجعل العين تدمع قليلا والثِماد بُؤَرٌ فيها ماء قليل.

وهكذا يتبين أن التكييف يعتمد علىٰ المعلومات المجموعة من المعاجم والاطلاع أو من الحياة المعاشة، ثم لمح ما في كل مسمىٰ من معانٍ تتناولها استعمالات تركيبه.

تَطْبيقٌ عَلى الأَمثِلَةِ الأُولى:

أعود إلىٰ الأمثلة لأتخذ مما فيها بيانًا تطبيقيًّا للركائز الفنية لهذا المعجم الاشتقاقي أول ركيزة: هي توفر معلومات كافية عن المسميات أو الموصوفات بألفاظ التركيب. ففي تركيب (حجج) لابد من معرفة حقيقة حِجَاج العين، وأنه كهف عظمي، وأن عَظْمه صُلْب وأنه واسع التجوف، علىٰ غير ما يتوقعه المرء حين ينظر إلىٰ العين أو يتحسس ما حولها بإصبعه.

ومصدر المعلومات عن حِجَاج العين هو (أ) الخبرة المباشرة بالتحسس. (ب) رؤية مقدمة الجمجمة العظمية عند بعض طلاب كلية الطب. (جـ) ما ذُكِرَ في المعجم عن معنىٰ الوقرة ثم تَصَوُّر الوقرة في العظم.

ــ ومصدر المعلومات عن حَجَجَ الطريق هو الحس المباشر والمعايشة.

ــ وعن الرأس الأَحَجّ هو تفسير المعجم وتصور معاني ما قال.

ــ وعن حَجِّ الجُرْح هو أيضًا تفسير المعجم وتصور معاني ما قال، والأمر فيه قريب.

ــ وعن مصدر المعلومات في حج بيت الله الحرام هو الدراسة، وبعض من الممارسة.

ــ وعن أصل معنىٰ الحج قديمًا هو المعلومات التاريخية المذكورة في الكتب، وقد أسلفنا بعضًا منها. وفي صحيح البخاري كتاب العلم الحديث رقم 126 فيه تمنىٰ النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد بناء الكعبة فيجعل لها بابين: بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه.

الركيزة الثانية: هي التكييف أو التأويل، أي تأويل الاستعمالات المادية وغير المادية لبيان وجه انضوائها تحت المعنىٰ المحوري. أما عن الحِجَّة العام فهي من أن الحَج يؤدَّىٰ مرة واحدة كل عام. فكأن كلمة (حِجّة) بالكسر بمعنىٰ (موسم).

وأما «الحُجَّة»: بالضم البرهان، فالبرهان سَنَد وظهير للرأي والقول كالإحاطة بشيء صُلْب فهو يقَوِّي الرأي ويحميه وينصُبه فلا يُعَدُّ هُرَاء.

وأما «حَجْحَج الرجل: نكص» فالنكوص رجوع إلىٰ الخلف للنجاة كأنه غئور في كهف مُحَاط.

وأما قولهم: «تحجحجوا بالمكان: أقاموا» فيؤخذ بيسر من الدخول في كهف محوط.

وأخيرًا فإن معنىٰ القصد الذي جُعِلَ أصلًا إنما هو من العمْد إلىٰ دخول البيت أي تحرىٰ الدخول فيه.

ننتقل إلى تركيب «صوم» فأقول إن المعلومات عن شجر الصوم مصدرها المعجم أعني لسان العرب أو تاج العروس، وفي بعض النباتات يتاح كتاب أبي حنيفة الدينوري.

ثم إن قوله: «شَجَرٌ علىٰ شكل شخص الإنسان» يعني أنه ينبت قائمًا لا يتفرع فروعًا غليظة. ومعنىٰ أن له هَدَبًا كالأثل أنه ليس له ورق عريض وإنما هَدَب كالخيوط القصيرة وهذا يسهم في إبراز عدم تفرعه كأن الشجرة منه عمود قائم.والبَكَرة رأيتها حين كان الماء يُسْتَخْرَج بها من البئر إلىٰ خزان المياه بالمسجد قبل أن توصل المياه إلىٰ القرى بالأنابيب، وبذا عرفت كيف تصوم البَكَرة أي تتصمغ في محورها. وكذا عرفت صَوْم الفرس معرفة مباشرة، وكذا الصوم القيام بلا عمل. فهذا كله عن المعلومات. والصوم: عُرّة النعام رأيته في حديقة الحيوان.

وأما التأويل فإن الصوم الشجر الموصوف لا يتفرع «لا تنتشر أفنانُه» فالتفرع «امتداد هنا وهنا» وكونه لا يتفرع يعني أنه قائم ثابت الصورة، ساكن أي ملازم لحد حيزه لا يمتد إلىٰ حيز آخر كأنه أُسْطُوَانة قائمة. وهذا السكون بمعناه المذكور هو لا شك من باب سكون الفَرَس وسكون البكرة، والقيام بلا عمل. فكل ذلك وقوف وتوقف عن الحركة؛ لأن الحركة تمدد وانتقال «كونٌ أول في مكانٍ ثان». وكذا صوم الريح: ركودها، وصوم الشمس: وقوفها في كبد السماء. و«الصوم البِيعة» للسكون والركود فيها. ومن ذلك كله الصوم الإمساك عن الطعام والشراب والجماع كل ذلك توقف ومنع تناول وكذلك التوقف عن الكلام ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26].

والصوم عُرّة النعام مثل خِثْي البقر يتماسك معًا وليس كُرَات متميزة كزبل الجمل والغنم. والتماسك يجعله كتلة واحدة لا ينتشر.

تركيب (صلو صلي):

أما عن المعلومات فإن (صلَوَىٰ الناقة) وكذا (أَصْلَتْ الفرس): تُرىٰ وتُتَصور بيسر لمن رأىٰ ناقة أو فرسًا.

والصلاية الحجر العريض رأيته، ويُلْحَظ أني أضفت ملمح الملاسة؛لأنها من صُلْب حقيقته لتنعيم الطيب أي ترقيقه.

وأما تصلية العصا فهي خبرة متاحة يستطيع من معه عصا من خيزران أن يثنيها أو يقوّمها بتعريض الجزء المطلوب ثَنْيه أو تقويمه للنار بدرجة معينة حتىٰ تلين.

وتشبيه الجبهة بالصلاية يؤكد ما ذكرنا من حِلْيتها.

والشريحة من القُفِّ تجُوُوِز فيها عن معنىٰ النعومة المعروف إلىٰ نعومة نسبية أو سقوط هذا القيد.

و«الْـــمِصْلاة الشَرَك» كنا ـــ في عهد الصبا الغض ـــ نمارس به أو بما يشبهه صيد العصافير.

وصَلْيُ اللحم بالنار معرفة متاحة، وكذا صَلْيُ الظَهْر تدفئته. وكذا التصلية بالنار، والمصلِّي من الخيل كل تلك معلومات تحصيلها ميسر معالجة أو تصورًا.

أما التكييف: فتليين العصا صريح في التليين وكسر الجساوة، وإصلاء الناقة والفرس رخاوة.

والصلاية عملها جعل ما يُدَقّ عليها رقيقًا رخوًا فهو من باب التليين. والْـــمِصْلاة تمكن من الصيد، والحصول علىٰ الصيد رزق يطيّب العيش ويلينه، إن صُرِفَ النظر عن وضع (طَيِّبٍ) في الـــمصلاة يغرى به الصيد.

وأما صَلَيت فلانًا: أوقعته في هلكة فهو فرع من الصيد بالْـــمصلاة.

وصَلْيُ اللحم بالنار: شَيُّهُ: تطييب له وإصلاح ليؤكل. والأكل شيء طيب من باب الرغد كما يقال عيش رخى وطيب. (الطِيب أصل معناه الليونة المستحبة).

وأما الصَلْيُ الإحراق بالنار فهو فرع عن الصَلْي التطييب. والْــمُصَلِّي من الخيل الذي يلي الــمُجَلِّي. فالــمجلِّي هو سابق الكل، والمصلِّي هو التالي له لُحِظَ في تسميته بذلك أن فيه شيئًا من الضعف والرخاوة حيث كان قاب قوس أو شبر من السبق فسبقه الْــمُجَلِّي.

وأخيرًا فإن الصلاة أصلها خشوع الباطن ورقته رقة ضعف وما إليه وما يقتضيه من التذلل والدعاء.

فالدعاء المقول عنه إنه أصل معنىٰ الصلاة هو لازم للضعف ونحوه، فالدعاء تضرع ناتج عن الضعف أو الخوف والرجاء. ولذلك استعملها الأعشىٰ في دعاء الخمار «وصَلّىٰ عَلَىٰ دَنِّهَا وَارْتَسَم» ذلك أن الخمار يُعَتِّقُ الخمر في دنافها أي يختم عليها في دَنّها، ويدعها جانبًا سنين عددًا رغبة في عتقها وغلو ثمنها، ثم إن الخمر المعتقة تلك قد تعتريها آفة وهي مخزنة فتتحول إلىٰ خلٍّ، وهذا يمثل كارثة بالنسبة للخمار الذي يعقد آمالا كبارا عليها، ولذلك فهو يخشىٰ عليها من هذا التحول. وهذه الخشية هي الضعف والرخاوة التي يعبر عنها تركيب (صلو صلي) ومقتضىٰ هذا الضعف أن يدعو ويتضرع إلىٰ ربه أن تجود خمره. وذروة زمن ضعفه هي لحظة كشفه عن فم الدَنّ ما كان طَيَّنَه به. وهذا كله هو ما كان يعبر عنه الأعشىٰ بقوله:

«وَصَلّىٰ عَلَىٰ دَنِّهَا وَارْتَسَم»

«ارْتَسَم»: أي رسم في الهواء علىٰ صدر نفسه صورة الصليب حسب عقيدته».

تركيب (زكو)

المعلومات. الزكا: الشفع ضد الخسا، والزوجان ضد الفرد أمور معروفة.

أرض زكية طيبة سمينة: تُعْرَف خصوبة الأرض (طيبها وسمنها) من جودة زرعها وسائر نباتها.

ونمو الزرع مرئي معروف.

والزكاء: النماء والرَّيْع الزيادة: زيادة الدقيق علىٰ كيل الحب حين يطحن الحب ويصير دقيقًا، ثم زيادة العجين بالاختمار عن الدقيق الذي عُجِنَ، وبخاصة عندما يُجَاد عَجْنه كما في قولة سيدنا عمر «امْلِكوا العجين فإنه أحد الرَّيْعين».

التأويل والتكييف: الزكا الشفع ضد الخسا والزوجان ضد الفرد زيادة مادية واضحة.

و«زكاء الزرع نماؤه» امتداد وكِبَرٌ مادي لا يحتاج تأويلا.

وقول محمد بن علي بن الحسين {زكاة الأرض يبسها يعني طهارتها. فالطهارة زيادة معنوية فالشيء الطاهر له في نفس المؤمن قبول أكثر، وتفضيل، وقيمة أكبر (يستطيع أن يستعمل الشيء الطاهر في أمور لا يصلح فيها استعمال غير الطاهر) وهذه زيادة قَدْر لا شك فيها.

فإذا انتقلنا إلى تركيب (أبل).

فعن المعلومات الإبل معروفة منتشرة وكون بعضها لحيمًا، وتسمينه: يُتَصور بسهولة. وكونها تصبر عن الماء ثمانية عشر يومًا هذا في المعجم (ظمأ) و(عشر). وتخزينها الماء ذكرت واقعة به في تاريخ الطبري (3/ 409، 415، 416).

والسحاب متاح للرؤية. ويتصور حمله الماء من إنزاله المطر.

واجتزاء الإبل بالرُطْب عن الماء يتصور بسهولة.

و«الإبالة»: حزمة الحطب والحشيش تُرَىٰ. وكذلك القطعة من الطير.

وأما التأويل والتكييف. فإن كون الإبل سميت كذلك؛لأنها تختزن الماء (مخازن ماء) هذا تكييف ساعدت فيه المعلومات المذكورة. وفي تركيب (حبب) شبه تصريح به.

وطول العشب هو من لوازم التشبع بالري.

والحُزْمة من الحطب كثرة متجمعة، وكذلك قطعة الطير. فهذا وذاك تأويل أو تكييف قريب؛ لأنه مرئي. وكذلك الناقة الأَبِلة المباركة في الولد».

ــ و«الأَبَلة»: الطَلِبة أى الحاجة فهي شيء يراد ضمه.

ــ و«أُبول الرجل عن امرأته امتناعه عن غشيانها» يُؤَوَّلُ علىٰ أنه اختزان لمائه حقيقة سواء أكان مقصودًا أوغير مقصود. وكذلك الأبيل: الراهب.

ــ و«الَأَبلة»: الثقل والوخامة هو فتور وكسل ينتج عن امتلاء الباطن بالرخاوة. والأَبَلة الإثم فرع عن ذلك.

ولا ننسىٰ أن الإثم نفسه تأخر عن ثقل كما قال:

«إذا كَذَبَ الآثماتُ الهجيرا »

ــ و«الإِبْلة»: العداوة هي من الاحتفاظ بالشيء في الباطن، كما سميت حقدًا.

3– الثقة بالمعنى المحوريّ:

1ــ إن المعنىٰ المحوري استنباط من استعمالات عربية وليس افتراضًا ذهنيًّا حرًّا. وبما أنه استنباط من استعمالات عربية فإن مجالَ الاجتهاد في تدقيقه وتحريره مفتوح. فإذا توصلنا إلىٰ معنًىٰ محوري محرر فيجب أن نثق فيه ونستثمره في نشاطنا اللغوي.

2ــ أسس الثقة في المعنىٰ المحوري متوفرة :

(أ) فإن العرب الذين تكلموا بهذه اللغة، أو جمعها علماؤنا القدامىٰ من أفواههم: هؤلاء العرب لم يُمْلِ عليهم أحد أن يكون استعمال مفردات كل تركيب في إطار معنىٰ معين، و لم يكونوا أبدًا يقصدون أن يجعلوا كلامهم كل لفظ منه يدور في إطار المعنىٰ المحوري لتركيبه. وهذه بدهية ليست محل مناقضة، فإن القوم كانوا يتكلمون بسليقتهم بعيدًا عن دراسة اللغويين، وبعيدًا عن أفكارهم عن اللغة.

(ب) والأئمة اللغويون الذين نقلوا إلينا كلام العرب كانوا أمناء تمام الأمانة، وكانت معلوماتهم عن المعنىٰ المحوري قليلة أو معدومة. ولا يتصور أيضًا أن يتكلفوا تحوير كلام العرب ليتسق مع ما لا يعلمُ أكثرهم عنه شيئًا ولا تدعوهم إليه داعية، وهو المعنىٰ المحوري. إن فكرة المعنىٰ المحوري لم تتضح اتضاحًا عامًّا إلا بمعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ) بعد وضع أكثر أمهات المعاجم.

(جـ) وقد حرصت أنا كل الحرص علىٰ ألا يقع في استنباطي للمعنىٰ المحوري أي تكلف سواء في اختيار الاستعمالات المستنبط منها أو في توجيه انطباق المعنىٰ المحوري علىٰ الاستعمالات أي تحققه فيها.

ولا يعني هذا أبدًا أن المعاني المحورية بالصياغة التي قدمتها لها منزهة عن كل عيب، فإن هذا عمل بشري قابل للتحرير، وإنما الغرض هنا أنه لم يقع في أيٍّ مِنْ حلقات التوصل إلىٰ المعنىٰ المحوري أيُّ تكلفٍ، وأن الفكرة صحيحة، بل نفيسة، وتستحق كل جهد يبذل فيها. وعلىٰ من يملك جهدًا أن يقدمه لتحرير الاستنباط وصياغة المعنىٰ المحوري وتوجيه تحقق الاستعمالات الجزئية فيه.

3ـ أما الفكرة نفسها فهي حقيقة ثابتة بدليل:

(أ) اللمحات الاشتقاقية المتناثرة من أصحاب النظرات الأولىٰ في اللغة.

ونجتزئ في التمثيل لها بأخذ سيدنا ابن عباس (ت 68هـ) {معنىٰ: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[فاطر:1] من فطر البئر: ابتدائها، ومعنىٰ ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف :89] من قول بنت ذي يزن: «تعال أفاتحك» [1] تريد أخاصمك (أي أقاضك لِيُفْصَلَ بيننا ببيان الْـمُحِقّ والمبطل) وفسّر اتساق

(1) الإتقان 2/ 203.

القمر: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: 18] باجتماعه أخذا من قول طرفة في الإبل:

«مستوسِقات لو يجدن سائقا»

وهكذا...

(ب) المؤلفات في اشتقاق الأسماء للأصمعي (ت 216هـ)، وابن دريد (ت 310هـ)، وكتاب الاشتقاق لابن السراج (ت 316هـ).

(جـ) محاولات الوصول إلىٰ معنىٰ محوري عام ــ قبل معجم مقاييس اللغة ــ: فنجد في معجم «العين»: (عقق). قال أبو عبد الله: «أصل العق: الشق، وإليه يرجع عقوق الوالدين، وهو قطعهما؛ لأن الشق والقطع واحد. يقال: عق ثوبه إذا شقه..» فكلمة «أصل» هنا هي المصطلح الأقدم لما سميناه «المعنىٰ المحوري». فهذا استعمال مبكر يرجع إلىٰ أوائل القرن الثالث أو قبيل أوائله؛ لأني أرجح أن «أبا عبد الله هذا» هو محمد بن زياد «: ابن الأعرابي (ت231هـ)». والرأي الأرجح بشأن معجم العين أن الليث جمع العلماء ليكملوا «العين» بعد أن خط الخليل أساسه ومقدمته وحشا بعض تراكيبه (:مواده)[1].

وفي مثل ثانٍ نجد قول المبرد (ت 285هـ) «الجنين: ما لم يظهر بعدُ، ويقال للقبر جنن. والجنين: الذي في بطن أمه. والْـمِجَنّ: التُرْس؛ لأنه يستر، والمجنون: الْـمُغَطّىٰ العقل، وسمى الجن جنًّا لاختفائهم، وتسمىٰ الدروع الجُنَن؛ لأنها تستر من كان فيها» [2]. فهذه الاستعمالات ناطقة أو كالناطقة بأن استعمالات تركيب (جنن)

---

(1) ينظر المزهر 1/ 76- 78 حيث أجمع السيرافي وابن المعتز وأبو الطيب وابن راهويه علىٰ أن الخليل عمل أول كتاب العين وحشا بعضه أيضًا. وقد يفهم هذا من كلام ثعلب أيضًا.

(2) ينظر الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد. تح. محمد أحمد الدالي (مؤسسة الرسالة) 2/ 282.

معناها المحوري (الستر) وقد استعمل المبرد في التعبير عن الستر كلمات (لم يظهر، المغطّىٰ، الاختفاء) مع كلمة (يستر).

إن التدرج في الوصول إلىٰ الفكرة هو دليل أصالتها في إحساس اللغويين، وكثرة التفاهم إلىٰ ذلك تعني درجة من الإجماع علىٰ الإحساس بصحة الفكرة وبمناسبتها للغة العربية أعني صوابها وعدم زيفها، وجريانها في اللغة.

(د) يضاف إلىٰ ذلك أن نجاح رد استعمالات كل تركيب إلىٰ معنىٰ عام واحد كما فعل ابن فارس إذ رد 2346 (تركيبا) من بين (2823 تركيبا عالج بيان معانيها المحورية) إلىٰ معنىٰ واحد أي (84% منها)، وكذلك رد المعجم الاشتقاقي المؤصل 2300 تركيب إلىٰ معنىٰ واحد.

كل هذا وذاك يعني أن الفكرة حقيقية وصائبة علميًّا.

4- المادّة التي يستنبط منها المعنى المحوري :

(أ) **الماديات:** أعني ألفاظ التركيب المعبرة عن أشياء مادية محسوسة. وقيمة هذه أنها مُحَسَّة واضحة، ثابتة الصورة، أي لا تختلف، ولا يختلف الناظرون إليها، والملابسون لها، في وصفها: كونها مكونة من كذا وعلىٰ هيأةِ كذا. وهذه الحسيات قد تتضافر فتشير كلها إلىٰ معنىٰ معين يكون نواة المعنىٰ المحوري، وربما لا يكون هناك أكثر من معنىٰ حسي، أو توجد ولكن لا تشير إلىٰ شيء.

(ب) **المعنويات:** أعني ألفاظ التركيب المعبرة عن أمور معنوية. وقيمتها مهمة هنا؛ لأنها قد تكون هي التي يُعْرف منها ما لفت العربي في الشيء أو الأشياء المسماة بكلمات من التركيب. فالشجرة المادية معروفة «نبت ذو ساق وفروع وأوراق» فما الذي لفت العربي في الشجرة؟ أهو نشوءها من الأرض؟ أم ساقها؟ أم تفرعها فروعًا نتيجة اتجاهات مختلفة هذا إلىٰ الشرق وهذا إلىٰ الغرب إلخ؟ أم ظلها؟ أم ورقها إلخ.

تأتي بعض الاستعمالات الحسية الأخرىٰ فتشير إلىٰ المعنىٰ العام «الشَجْر: مفرج الفم. الشَجْر من الرحل: ما بين الكَرّين وهو الذي يلتهم ظهر البعير. شَجَر بيته: عمده بعمود. الشُجْرة: النقطة الصغيرة في ذقن الغلام» هذه الاستعمالات تقود إلىٰ أن المقصود في الشجرة هو تفرعها وانفراج ما بين الفروع: هذا يتجه إلىٰ الشرق وذاك إلىٰ الغرب. كما أن شَجْر الفم مُنْفَتَحهُ حيث يترل الفك الأسفل فيكون بينه وبين الفك الأعلىٰ فُرجة، وكما أن شَجْر الرحل هو الفُرجة الكبيرة بين جانبيه، وكما أن شجر البيت يرفع سقفه فتكون بين السقف وأرض البيت فُرجة واسعة وهي الفراغ الذي يتحرك فيه أهل في البيت. والنقطة الصغيرة في ذقن الغلام هي النونة وهي نقطة غائرة في لحم الذقن قريبة من شكل الرقم 7 فهي انفراجة أيضًا. فهذا كله وجّه إلىٰ أن العربي لحظ في الشجرة انفراج فروعها.

نأتي إلىٰ الاستعمالات المعنوية ومنها «شَجَر بين القوم إذا اختلف الأمر بينهم/ تنازعوا فيه». فهذا معناه اختلاف اتجاهاتهم وما يسمىٰ اختلاف وجهات النظر. وقريب من هذا «شَجَره عن الأمر: صرفه/ نَحّاهُ، اشْتِجَارُ النوم: تجافيه عنه» فهذه وتلك إبعاد وتباعد/ فرجة ومسافة بينه وبين الشيء.

وفي التركيب استعمالات أخرىٰ لا تخرج عما ذكرناه، وبعضها من التداخل الذي هو لازم لاختلاف الاتجاهات في تفرع الشجر كما في دخول فرع شجرة بين فرعين مخالفين في الاتجاه.

ونكتفي بهذا لنواجه مسائل متصلة بالحسي والمعنوي.

5ــ **المسألةُ الأُولى** هي: هل كل الاستعمالات المعنوية مأخوذة من استعمالات حسية أو تُرَدُّ إليها؟ الجواب: نعم. لقد أثبت هذا المعجم الاشتقاقي اشتقاق المعنويات من الحسيات بنسبة تبلغ أكثر من تسعين بالمئة. فالتراكيب الخالية من الحسيات محدودة جدًّا. وقد نبهنا علىٰ بعضها.

6ـ **المسألة الثانية**، وهي الأهم: هي ما الذي يؤخذ منه المعنىٰ المحوري من الحسيات؟ فإن الاستعمالات الحسية في كل تركيب كثيرة عادة. أنأخذ المعنىٰ من استعمال واحد أم منها كلها؟ وإذا كان من استعمال واحد فأيِّ الاستعمالات نقدم؟ الإمام ابن السراج (316هـ) قرر جوابَ شطر هذا السؤال بأنه «إذا كانت الأشياء المسمِّيات بعضها خِلقة، أي ليس من صنعة البشر، وبعضها مصنوع كالقِدْرِ والسِقَاء وما أشبه ذلك فاجعل الأصل لما هو خِلْقَةٌ فإن المصنوع أولىٰ بالاشتقاق» أي أولىٰ بأن يكون هو المشتق من شيء آخر. ولم يسأل إذا كانت الحسيات التي نبحث في أسمائها كثيرة وكلها مصنوعة أو كلها خلقة فأَيَّهَا نقدم؟ لم يتساءل ولم يقدم رأيًا في هذا.

وقد تجنبنا هذا المأزق في هذه الحالة خاصة، بأن جَعَلْنا الحسيات المصنوعة كلها صالحة أن يؤخذ منها المعنىٰ ما دامت كلها مصنوعة، وكذا إذا كانت خِلْقة وجدناها هكذا. ثم ما دامت كلها صالحة، فإن سلاسة العرض قد تقتضي تقديم بعض دون بعض، وهذا لا إشكال فيه ــ إن شاء الله ــ. وهو قريب مما عرضناه في تركيب (شجر) منذ قليل.

7ـ **وما سبق يقودنا إلى مسألة أخرى**: أيهما ينبغي أن نأخذ به في صياغة المعنىٰ المحوري: التجريد أم التشخيص؟ ولكي يتبين ما نقصد نضرب مثلا بتركيب (شجر) أيضًا.

فالتشخيص أن نصوغ المعنىٰ المحوري لتركيب (شجر) هكذا: تفرع النابت من الأرض ــ قائما علىٰ ساق ــ فروعًا مختلفة الاتجاه متباعدة. وواضح أن هذا مأخوذ من الشجر النبات ذي الساق والفروع والأوراق. وهذا السبيل قد يكون أوضح من السبيل الآخر، لكنه قد يَجُرُّ إلىٰ التكلف ــ إذا كانت استعمالات التركيب غزيرة ــ حيث يصعب إرجاع كل استعمالات التركيب إليه مباشرة. ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بالتكلف والتوهم.

أما في التجريد فإننا نقول: إن المعنىٰ المحوري لتركيب (شجر): انفراج الشيء إلىٰ ناحيتين أو أكثر مع دوام علىٰ ذلك، كانفراج فروع الشجر، وانفتاح شَجْر الرحل، وشجر الفم إلخ.

وأنا في عملي في هذا المعجم أميل ــ بصفة عامة ــ إلىٰ التجريد، وبخاصة عندما تكون استعمالات التركيب كثيرة. أولًا: لأن هذا هو الأصل عند استنباط معنىٰ مشترك بين أشياء كثيرة، ثم لأنه هو الذي يصلح لتفسير الاستعمالات الكثيرة إذا أُحْكِمَت صياغته. أما في حالة قلة الاستعمالات كأن يكون التركيب فيه استعمال واحد أو استعمالان فإن الأنسب هو التشخيص؛لأن التجريد حينئذٍ يكون تعميم شيءٍ خاصٍّ، ويؤدىٰ إلىٰ إغماض ما هو واضح. وهذا عكس المراد بالعمل في مجال المعاني.

8- أحادية المعنى المحوري:

1ــ أحادية المعنىٰ المحوري معناها أن التركيب اللغوي يدور علىٰ معنىٰ محوري واحد لا يتعداه.أي لا يكون للتركيب الواحد عدة (أصول) كما فعل الإمام ابن فارس كثيرًا.

وأحادية المعنىٰ المحوري نقطة فارقة بين معجم مقاييس اللغة لابن فارس وبين المعجم الاشتقاقي المؤصل. ليس فحسب من حيث إن الأول يسمح بتعدد المعاني للتركيب الواحد (بل ربما لم يخطر له الالتزام بالأحادية علىٰ بال)، والآخر يلتزم بمعنىٰ واحد لكل تركيب، وإنما لأن ربط استعمالات التركيب الكثيرة المختلفة المعاني الجزئية بمعنىٰ عامٍ واحدٍ يقتضي فضل جهد ذهني للوصول إلىٰ هذا الربط مع استصحاب جهد آخر لتجنب التكلف والخلابة.

2ــ النقطة الثانية أن التمسك بأحادية المعنىٰ المحوري ليس بدعة ابتدعها المعجم الاشتقاقي المؤصل، فقد سُبِقَ إلىٰ ذلك في مجالين:

(أ) الملاحظات والمحاولات السابقة لمعجم مقاييس اللغة (تنظر تلك المحاولات في كتاب (الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة لابن فارس). [1]

(ب) جهد ابن فارس في عمله في معجم مقاييس اللغة. لقد درس باحث محدث[2] عمل ابن فارس في معجمه من حيث تعدد الأصول (أي المعاني المحورية لتراكيب اللغة) وأحاديتها، وأجرىٰ إحصاء أقدمه هنا:

ــ مجموع ما عرض له ابن فارس في معجمه (4631) جذرًا (= تركيبًا).

ــ أغفل ابن فارس استنباط المعنىٰ المحوري لــ(1808) جذور منها.

ــ مجمل عدد الجذور التي عين لها ابن فارس دلالات محورية (2823) جذرًا منها.

ــ الجذور التي عين ابن فارس لكل منها معنىٰ محوريًا واحدًا (2346) جذرًا.

ــ الجذور التي لكل منها أكثر من معنىٰ محوري (477) جذرًا.

ــ نسبة الجذور ذات الدلالة الأُحادية 83% تقريبًا.

3ــ إن الذي سبق به ابن فارس يستدل به ــ مع ما في المعجم الاشتقاقي المؤصل ــ علىٰ أن أحادية المعنىٰ المحوري لتراكيب اللغة العربية هي حقيقة علمية ثابتة، ذلك أن الدراسة التي أخذنا منها هذا الإحصاء ذكرت:

(أ) أن بعض الجذور التي جعل لها ابن فارس أكثر من معنًىٰ محوري ذكر ابن فارس نفسه أن تلك المعاني المتعددة يمكن أن تعود إلىٰ معنًىٰ واحدٍ.

(ب) أن صاحب المعجم الاشتقاقي أعاد بعض (الجذور) التي عين لها ابن فارس أكثر من معنىٰ محوري ــ أعادها إلىٰ معنىٰ محوري واحد. فكأن أُحادية المعنىٰ المحوري لكل تركيب هي أمر منوط بجهد الباحث ومعلوماته عن العرب والعربية

(1) للدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل ص12-21.

(2) هو المذكور في التعليق السابق.

وإصراره علىٰ الوصول إلىٰ معنىٰ محوري واحد لكل (تركيب). نقول هذا مع كل التبجيل لإمام هذا المهيع العلامة ابن فارس الذي تصدىٰ لعمل أول معجم لغوي يشمل تراكيب اللغة كلها ــ حسب ما أدّىٰ إليه نظره ــ ليبين فيه الأصل أو الأصول (المعنىٰ أو المعاني المحورية) ــ لكل تركيب: ويكفي لبيان عِظَمِ إمامته أنه لم يُتْلَ في عمله لأكثر من ألف عام إلا بمعجم الراغب الأصفهاني الخاص بالمفردات القرآنية، مع أن الأصفهاني لم يقدم إطارًا نظريًّا يُلزمه بالفكرة، ثم السمين الحلبي الذي قلّد الراغب الأصفهاني بكتابه كتر الحفاظ.

4ــ المعجم الاشتقاقي المؤصل عالج 2300 تركيب رد كلًّا منها بكل الاستعمالات الواردة فيه إلىٰ معنىٰ محوري واحدٍ.

لكل ما سبق يمكن القول بأن أُحادية المعنىٰ المحوري حقيقة ثابتة في اللغة العربية ومتجذرة فيها أيضًا.

وأرجو أن يُسْتَحْضَر هنا أني تمسكت بالموضوعية في رد استعمالات كل تركيب في المعجم الاشتقاقي ورفضت أسلوب الخلابة والتكلف.

9- قيمة ثبوت أُحاديَّة المعنى المحوري:

إن أُحادية المعنىٰ المحوري لتراكيب العربية تعني أمورًا مهمَّة في مجال الدراسات اللغوية:

1ــ فهي تعني أن اللغة العربية ليست عشوائية كما يشاع القول بذلك عن اللغات عامة.

فالعربي الذي ينطق صورة من التركيب (فعلًا أو مصدرًا أو اسم شجرة أو دابة أو ظاهرة أو نشاط ما.. إلخ) ينطقها معبرًا عن شعور يغمر نفسه، فيعبر باللفظ الصوتي عن ذلك الشعور، وكلما تكرر نفس الشعور تكرر اللفظ أو صورة منه.

2ــ وتعني تميزًا للغة العربية عن سائر اللغات البشرية. إنني أرجِّح ذلك في ضوء:

(أ) ما أعرفه عن بعض اللغات الأوربية.

(ب) أن التراث الحي المستعمل من اللغة العربية يرجع إلىٰ نحو 1500 عام علىٰ الأقل. فإن المعلقات ما زالت تُقرأ وتُدْرَس وتفسَّر بلا ترجمة في مدارسنا الثانوية ــ والمعلقات يرجع بعضها إلىٰ نحو سنة 500م ــ. وذلك في حين أن إنجليزية القرن السادس عشر الميلادي ــ مثلًا ــ تحتاج في قراءتها وفهمها إلىٰ دراسة تخصصية.

(جــ) أن العربية تُعَدُّ أيضًا من أنقىٰ اللغات أعني أخلاها من الألفاظ المستعارة من اللغات غير العربية. وقد وثقنا ذلك في مقدمة (المعجم الاشتقاقي).

3ــ أحادية المعنىٰ المحوري تعني أيضًا علاقةً ما بين الألفاظ ومعانيها. إذ يكون الأمر هكذا (كلما وُجدت صيغة من التركيب وُجدت صورة من المعنىٰ المحوري. كلما وجد (أ) وجد (ب))، وهذه علاقة علمية معترف بها. أما سرها فهو متروك للاجتهادات.

4ــ تعني آلية لضبط تفسير كثير من الاستعمالات اللغوية المختلف في تفسيرها. وآلية لتحرير تفسير بعض ما لم يُخْتلف فيه.

5ــ وتساعد في الحكم علىٰ مدىٰ صحة ادعاءات كون بعض المفردات مُعَرَّبَة أي ليست عربية أصيلة.

10– الفصلُ المعجمي :

من الأمور التي يحق لكل لغوي عربي أن يعتز بها ما أثبتته المعالجة في المعجم الاشتقاقي المؤصل من اطراد دلالة الفصل المعجمي.

وتتمثل فكرة الفصل المعجمي في أن تماثل الحرفين الأصليين الأولين بترتيبهما في صدر أي عدد من التراكيب يترتب عليه تقارُب معاني تلك التراكيب، تقاربًا يضطر الباحث إلىٰ بذل الجهد لإبراز الفرق بين المعنىٰ المحوري لكل منها والآخر.

والحقيقة أنه عند التأمل في اطراد أُحادية المعنىٰ المحوري لكل تراكيب العربية ـــ حسب ما يؤخذ من ثبوت تلك الأُحادية في كل التراكيب التي دُرست ومقدارها 2300 تركيب ـــ ينبغي أن يتوقع اطراد فكرة تقارب معنىٰ كل من فصول تراكيب العربية. ذلك أن نجاح أحادية المعنىٰ المحوري تعني ثبوت نفس المعنىٰ لكل حرفين تماثَلا بأعيانهما وترتيبهما وموقعيهما في صدور التراكيب ومن ثم تقارب معاني تلك التركيب، كما هو الحال في فكرة الفصل المعجمي. فإذا أضفنا إلىٰ ذلك تحقق تحديد معنىٰ لغوي لكل حرف هجائي، أصبح من اللازم توقع تشابه معاني التراكيب المبدوءة بحرفين أصليين بعينيهما وبترتيبهما في موقعيهما.

أما عن مقدار ذلك التشابه فإنه يمكن أن نقربه بأنه تشابه بحق الثلثين. أعني أنه ما دامت التراكيب الثلاثية هي الغالبة في اللغة العربية فإنه يجوز لنا أن نفترض أن الحرفين يمثلان ثلثي حصيلة معنىٰ التركيب.

وكما قلت في موضع آخر هنا إن معنىٰ التركيب ليس جمعًا بسيطًا لمعاني حروفه، ولكنه تفاعل بين معاني تلك الحروف، يؤخذ في الحسبان فيه مواقع أحرف التركيب (فاء التركيب أو عينه أو لامه).

* وقد تبين من ثمرات الفصل المعجمي أن ترتيب تراكيب أي معجم لغوي عربي بالنظر إلىٰ (فاء) التركيب والحرف التالي له (عين التركيب) هو الدقيق والمناسب عند المفاضلة بين النظر إلىٰ الصدر أو إلىٰ القافية؛ لأن حرفي الصدر (وهما الفصل المعجمي له) هما الأقوىٰ بموقعهما هذا من موقع القافية مع الصدر.

والآن يأتي دور الأمثلة الموضحة والمثبتة:

1ـــ مثلا الفصل المعجمي (رح) ومعناه اتساع وانبساط.

أــ تركيب (رحح) الرَحَحُ: عرض القدم في رقة.انبساطُ الحافر في رقة. جَفَنة رَحّاء: واسعة.

ب ــ (روح). الراحة: الكف. قَدَحٌ وإناء أَرْوَحُ : متسع مبطوح.

جــ ــ (رَحَب) رَحَبة المسجد والدار: ساحتهما ومتسعهما. الرَحَبَة أيضًا موضع العِنب بمنزلة الجَرين للتمر.

د ــ (رحض) رحض الثوب: غسله (الغَسْل إزالة للمتراكم علىٰ الشيء فَيَظْهَر انبساطه). ارتحض الرجل: افتضح (الفضيحة انتشار خبر السوء).

هــ ــ (رحق) الرحيق: الخالص الصافي من الخمر (الصفاء رقة وعدم كثافة. والصفاء من باب الرقة والانبساط).

وــ (رحل) رحل: انتقل (إلىٰ مكان آخر فصارت هناك مسافة).

زــ (رحم) الرحم وعاء الجنين في البطن، وهو يتسع له برغم محدودية الجوف.

ح ــ (رحى) الرحى معروفة. وهي حَجَران عريضان مستديران يدار أعلاهما فوق الآخر.

2- الفصل (سل) ومعناه خروج شيء بامتداد ويسر (أي بلا تعوق).

أــ سلّ السيف: أخرجه من غمده.

ب ــ سلا: السُلَّاء: شوك النخل (وهو ممتد دقيق ناعم).

جــ ــ سلب: سَلَب الشَجَر والقَصَب: نزع عنه قشره (وهو ممتد).

د ــ سَلَت: سَلَت الْــمِعَىٰ: أخرج ما فيه بالضغط عليه مع سحبه (يلحظ أن المِعَىٰ ممتد).

هــ ــ سلج: سلجَ الفصيلُ الناقة: رضعها (سحْب اللبن).

وــ سلح: سلح: أخرج ذا بطنه.

زــ سلخ: سلخ الإهاب: كشطه (سحْب الجلد).

ح ــ سلس: سَلِسَ بوله: لم يقدر أن يمسكه (أي فهو يخرج باستمرار).

ط ــ سلط: السليط: الزيت. (يخرج ممتدًّا).

ي ــ سلع: تسلع الثوب: تشقق (شقوقًا طويلة).

ك ــ سلغ: سلغ رأسه (أي طولا).

ل ــ سلف: سلف: تقدم. السُلَاف من الخمر: ما سال من غير عصر. (سبْق وهو امتداد).

م ــ سلق: سلق اللحم (المطبوخ) عن العظم: انتجاه (سحب بسهولة أيضًا).

ن ــ سلك: السلك: خيط من نحاس أو غيره. (ممتد).

س ــ سلم: السَلِمة: كل حجر عريض (العِرَض امتداد).

ع ــ سلو: سَلا عنه: نسيه وذهب (انفصل انفصالًا دائمًا أو طويلًا).

3ــ الفصل (فر) ومعناه الانفصال ونحوه:

أــ فر: ذهب بعيدًا بإسراع.

ب ــ فرت: الماء الفرات: عَذْب. خال من المِلْح. انفصل عنه الملح.

جــ ــ فَرَثَ الجُلَّة نثر ما فيها فانفصل منها.

د ــ فرج: فرِّج بين أصابعه.

هــ ــ فرح: الْــمُفْرَح: الــمُتَخَلَّىٰ عنه، المتروك دون مساعدة.

و ــ فرخ: الفرخ منفصل من البيضة.

زــ فرد: الفَرْد منفصل وحده.

ح ــ فرز: تمييز هذا عن ذاك فصل.

ط ــ فرس: الفَرْس: قطع وفَصْل لأجزاء البدن كما يَفْرِس الوحش فريسته.

ي ــ فرش: بسط. وهو من جنس الفصل؛ لأنه إزالة التكدس.

ك ــ فرض: الفَرْض: حَزٌّ في الخشب والحديد من جنس الفصل.

ل ــ فرط: الفَرْط: سَبْقُ الآخرين وهو انفصال عنهم.

م ـــ فرع: التفرع: انفصال شيء عن شيء.

ن ـــ فرغ: الفراغ انفصال ما كان يشغل الشيء عنه.

س ـــ فرق: المفارقة انفصال.

ع ـــ فرك: الفَرْكُ حَكٌّ وإزالة.

ف ـــ فَرَم: الأفرم: المتكسر الأسنان.

ص ـــ فرو: الفَرْو مفصول من البدن.

ق ـــ فري: الْفَرْيُ قطع.

هكذا يتضح كيف تتحقق خصيصة تقارب معنىٰ الفصل المعجمي، وقد عالجت في المعجم 367 فصلا معجميًّا بينت المعنىٰ المتقارب في كل منها. فمن حق كل عربي أن يعتز بهذه اللغة المعبرة غير العشوائية. والحمد لله علىٰ هذه النعمة وعلىٰ سائر نعمه التي لا تحصىٰ.

11- تَرتيبُ التراكيبِ في المعْجَم لإبرازِ فِكْرَةِ الفصْلِ المعجميِّ:

ولأهميةِ فكرةِ الفصلِ المعجَميِّ، من حَيْثُ هي صورة من صور الارتباط بينَ الألفاظِ والمعاني في اللغة العَربِيَّة، ومن حيثُ هي بابٌ مهمٌّ من أبوابِ فقه اللغة العربية ينبغي أَنْ يُسْتَدْرَكَ، فإنَّه يجب إبرازُها؛ وفاءً بحقِّ هذه اللغةِ وأهلها وكتابها.

ونظرًا إلىٰ أنّ معالجةَ هذه الفكرةِ معالجةٌ علميَّةٌ تقتضي بَسْطًا وتطويلًا؛ لأن المثلَ الواحدَ مِنَ الأمثلةِ التطبيقيَّة لهذهِ الفكْرَةِ قَدْ يَقْتَضِي مُعالجةَ عِشرينَ تركيبًا أو أكثر بكلِّ استعمالاتها، ثمّ لا ينبغي أن يُكْتَفَىٰ في المعالجة العلميَّة المقنعة بأقلّ من خمسينَ مثالًا تشغلُ مئات الصفحاتِ، فقد رأىٰ صاحبُ المعجمِ الاشتقاقيِّ المؤصِّل لألفاظِ القُرْآنِ الكريمِ (بَعْدَ أنْ تبيَّنَ له أنّ الفكرةَ صحيحةٌ وثابتةٌ في اللغة العربيَّة) أن يَسْتَثْمِرَ اتِّساعَ المعالجةِ المطلوبة لألفاظِ القرآنِ الكريمِ (1700) تركيب لتكون معالجة لفكرةِ معنىٰ الفصلِ المعجميّ أيضًا، وذلك بِجمعِ التراكيبِ الثلاثيَّةِ السَالمة المتماثلة الصُدورِ (فاء التركيب وعينه) بعضها إلىٰ جوار بعضٍ ويضاف إليها التراكيب المعلولة والمهموزة إذا

كان صَحِيحَاها مماثِلَيْنِ لفاءِ التراكيبِ الصحيحةِ وعينها. وفي الترتيبِ العَامِّ للتراكيبِ في المعجم ينظر لفاء التراكيب الصحيحة ثُمَّ عينها (باب الباء أولًا يليه باب التاء إلخ).[1]

وبهذا الذي صَنَعْنَاهُ يُمْكِنُ النظرُ إلىٰ تراكيبِ كلِّ فصلٍ معجميٍّ معًا؛ لأنها متواليةٌ، فتسهلُ المقارنةُ لتبيّن انطباقَ الفكرةِ. وقد لـــخّصْنَا المعنىٰ الجامعَ المشتركَ بين تراكيبِ كلِّ فصلٍ معجميٍّ في آخرِ ذلك الفصلِ. والتفصيلُ مُتاحٌ أمام القارئِ مباشرة.

ولمجابهة الهواجس أَقولُ: إنَّ معالجةَ مفرداتِ التراكيبِ القرآنية لم تنظرْ في بيانِ معانيها إلىٰ مقتضىٰ الفصلِ المعجميِّ، فإنّها مفردات قرآنية وتفسيرها. وكفىٰ بهذا زاجرا.

12ــ المعَاني اللغويَّة للحروف الألفبائية:

1ــ أَصْدُق القارئ إذا قلت إن ظهور إمكان تحديد معنىٰ للحرف الألفبائي كان مفاجأة أو كالمفاجأة لي. وكان أولُ الأمر أني لاحظت نوعًا من الاطراد بين وقوع حرف ألفبائي بعينه في آخر التركيب. أيِّ تركيب، ووجود معنىٰ جزئي بعينه ضمن المعنىٰ المحوري لذلك التركيب، لدرجة تستدعي جُهدًا لبيان الفرق بين معاني تلك التراكيب أحيانًا. وكان من أوائل الحروف التي وقع فيها ذلك حرف الراء، حيث تكشف لي وجود معنىٰ الاسترسال أو ما يئول إلىٰ الاسترسال في المعنىٰ المحوري للتركيب الذي في آخره (راء).

كالقَطْر (توال وماء مسترسل)، والشَجَر: (نمو مسترسل)، والحجر (صلابة دائمة)، والكبر (نمو متوال أو دائم). والــمَدَر (تماسك ممتد)، والقِدْر (حوز دائم)، والبِئْر (نبع ماء دائم)، والعُذْر: (منع دائم أي غير مؤقت)، والطُهْر (نظافة دائمة أي متكررة)، والفَجْر انطلاق دائم. وهكذا.

---

(1) أما التراكيب المكونة من صحيح واحد مع حرف العلة فإنها وضعت في مقدمة باب ذلك الصحيح، وأما المكونة من حروف علة فقط فوضعت في آخر المعجم، ولم نشرك هذه أو تلك في الفصول المعجمية باصطلاحنا.

كما تكشف لي اطراد وجود معنىٰ الحبس أو ما يئول إلىٰ معنى الحبس ضمن المعنىٰ المحوري لكل تركيب في آخره (دال)، كالبلد مكان خال يصلح للإقامة الدائمة (وهي هنا احتباس)، والسَنَد سَنَدُ الجبل ونحوه (يَصُدّ ويمنع النفاذ)، والكَبِد (دم متجمد والتجمد احتباس)، والفرد (منع عن اجتماع مع غيره، وهذا حبس) والرعد والارتعاد (اهتزاز مع البقاء في نفس المكان). وهذا البقاء احتباس.. وهكذا.

ولما تكشف لي ذلك تنبهت إلىٰ سائر الحروف الألفبائية وبدأت أهتم بتلمس معانٍ لها.

2ـــ ولما تربت لي درجة من الاقتناع بذلك التفت إلىٰ الكلمات المكونة من حرف واحد مكرر مثل (البَبَّة) الغلام التارّ السمين، فالكلمة مكونة من ثلاث باءات، وكذلك (القَقّة): العِقْي الذي يخرج من بطن الوليد كالدم المتعقد بعد ولادته، فوجدت أن هذا يمكن أن يمثل أكثر المصادر علميةً لموضوع المعاني اللغوية للحروف الألفبائية، ثم تكشف أن أمثلة هذا النوع جِدّ محدودة قد لا تصل إلىٰ عدد أصابع اليد الواحدة [1]. فاجتزأت في هذه الغاية بما يتكون التركيب فيه من حرف مكرر مع همزة أو حرف علة.

3ـــ ويجب أن أوضح أن هناك ضابطين لمسألة معاني الحروف الألفبائية هذه هما :

أ ـــ أنه كلما كانت الاستعمالات التي يلتمس فيها المعنىٰ اللغوي للحرف الألفبائي تراثية مبكرة كان ذلك أقرب وأوضح في وجود معنىٰ الحرف.

ب ـــ أن صورة معنىٰ الحرف متغيرة ـــ كما هو واضح في الأمثلة التي ذكرتها ـــ وهي صادقة في كل حال بشرط لمح الصور.

(1) هي (ببة)، (ددَّ)، (ززّه)، (صصص)، (هَهّه).

13ـــ أريد أن أضيف هنا معلمًا مهمًّا هو أن المعنىٰ المحوري للتركيب ليس جمعًا لمعاني الأحرف المكونة له (كذا + كذا + كذا). وإنما هو حصيلة تفاعل بين معاني هذه الحروف حسب قوة معنىٰ كل منها من ناحية، وموقع كل منها في التركيب ـــ أعني كونه فاء التركيب أو عينه أو لامه من ناحية أخرىٰ ـــ وقد كنت أشبه أثر ترتيب مواقع حروف التركيب في قوة معانيها بعمل مشروب الليمون المحلّىٰ. فإنه إذا عصر الليمون علىٰ الماء قبل إذابة السكر فإن السكر لا يذوب كله، فلا يكون مذاق المشروب ممثلًا لمحتوياته. أما إذا أذيب السكر في الماء قبل عصر الليمون فإنه ينتج شرابَ ليمون جيدًا صادق التعبير عن مكوناته. وهكذا الأمر في التراكيب اللغوية، فهي تستوفي معناها بحسب مدىٰ استيفاء معنىٰ كل حرف من حروف التركيب ضمن المعنىٰ المحوري له.

وقد ذكرنا ـــ في المعجم الاشتقاقي المؤصل ـــ المعنىٰ اللغوي لكل حرف ألفبائي مع عرض ما أُخذ منه من كلام العرب.

14ـــ **وأخيرًا**، فإنّني ألفتُ إلىٰ أني عزلتُ معنىٰ الفصلِ المعجميّ وفي سطور خاصّةٍ في نهاية كلِّ فصلٍ، كما أني عزلتُ بيانَ المعنىٰ الصوتيِّ اللغويِّ لكلِّ حرفٍ من حروف تراكيب كل فصل معجمي بيانا تطبيقيًّا بجعله في الحاشية السفلىٰ لأول معالجة لتراكيب ذلك الفصل المعجمي، وذلك أني لم يغب عني علىٰ الإطلاق أن هذا المعجم إنما هو بالأصالة لمعالجة معاني ألفاظ القرآن الكريم معالجة لغوية تفسيرية أعني ملتزمة بالجانبين اللغوي والتفسيري معًا. وأن أي تحيف من جانبٍ ما هو خطأ بل خطيئة.. ونعوذ بالله تعالىٰ من إحباط العمل الصالح.

ثمّ إنني تكشف لي في أثناء هذا العمل جوانب عن فضل اللغة العربية يؤصَّل لتميزها بل لقداستها. فلم يكن من حقي أنْ أَحتجنَ عن أهل هذه اللغة الشريفة من القراء والمفسرين ودارسيها ومتخذيها لسانا فضلا وتميزًا لها كشفه الله لي.

فجئت بالميزتين النبيلتين معزولتين درءًا لشبهة التكلف، ولإتاحة النظرة العلمية المتجردة للدارسين.

واللهُ وليُّ التوفِيق.